تمهيد

مصيدة الجاسوس

تصفح بن ين (بي. واي) يانغ، رجل أعمال تايواني يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً ومؤسس شركة «فور بيلارز أنتربرايزز»، مجموعة من الوثائق الممهورة بعبارة «سري» وعبارة «ملكية آفيري دينيسون»، ونزع عنها الرزات السلكية. كان ذلك يوماً حاراً وخانقاً من أوائل أيام شهر أيلول / سبتمبر العام 1997، عندما اجتمع يانغ وابنته سالي (باحثة في شركة فوربيلارز) إلى تين هونغ (ڤكتور) لي، عالم شركة «إفيري دينيسون»، في فندق ويست ليك هوليداي في «كليڤلاند» Cleveland «أوهايو» Ohio، وهناك احتسوا شراب د. بيبر Peper وتناولوا شطائر العنبية/ العنب البري (التي كانت نوعاً غريباً من الطعام بالنسبة ليانغ). أما في نقاشهم فتناولوا مسألة العقبات التي تعترض طريق إنتاج مواد لاصقة حساسة للضغط، مضيفين نكهة على ذلك النقاش الذي دام أربع ساعات من طريق كلمات مثل: تاكيفيير (لزج) ولزجة إنتاج ذو سرعة كبيرة - وكانوا منهمكين بما ستطلق عليه الحكومة لاحقاً اسم «الجاسوسية الاقتصادية».

كلما أتى يانغ على التحذيرات السرية التي مُهر بها طلب براءة اختراع أحد اختراعات شركة آڤيري الجديدة - والمتعلقة بتصنيع مواد

لاصقة صديقة للبيئة وذات تكلفة مناسبة ـ أو مهرت بها أوراق خطة سرية ترسم ملامح التوسع باتجاه آسيا، كان يطوي الأوراق ويحدث فيها ثلماً طفيفاً ثم يشقّها طولياً بواسطة سكين جيب. وكان طلب براءة الاختراع الذي أثار انزعاج يانغ بشكل خاص، ذاك الطلب الذي غطى حقوقاً لمادة لاصقة أكرليكية مستحلبة وشاملة للاستخدامات كافة وبدا شبيهاً باختراع سبق لشركته أن طورته. وكان يانغ قد تورط في بعض المنازعات حول براءات اختراع سابقة ورأى في ذلك إنذاراً بأنه قد يكون الفصل الأخير.

ونظراً لعدم توفر أي رزازة أوراق في متناول اليد، فقد كان يانغ يعاود تثبيت الصفحات معاً بواسطة شريط تثبيت يشبه المفصلة وذلك بعد كل عملية قص. وخاطب يانغ «مستشاره» لي بعد إبراز أكثر من اثنتي عشرة قصاصة ورق تافهة قائلاً: «عليك أن تلقي بتلك النفايات في منزلك». أمّا باللغة التايوانية فقال يانغ: «أعد ذلك إلى منزلك». وكان آخر ما يخشاه هو أن يتم احتجازه من قبل الجمارك الأميركية ومعه صفحات ممهورة بعبارتي «سري» و«ملكية آڤيري دينيسون» الأمر الذي كان يمكن أن يوقعه في متاعب كبيرة.

«حسن»، أجاب لي وأشار إلى شطيرة يانغ الذي عامله لي كما لو أنه عم عزيز قائلاً: «تناولها طازجة فهي لن تكون صالحة للأكل في اليوم التالي». وتابعوا الحديث الذي أخذ هذا المنحى الودّي وتناول نقاط الاختبار التمهيدي للذكاء المدرسي PSAT التي طرحتها ابنة لي، كما وتناول أوضاع الكليات، وكلمة فطر التي تعني (ميه جون) بالتايوانية، وحقيقة أن معظم الخريجين التايوانيين يرفضون تعلم اللغة الإنكليزية، لغة العلوم. وبعد عشر دقائق ناول يانغ ابنته بعض الأوراق. «لم لا تعتنين

بهذه الأوراق؟» قالها دامجاً الماندرينية بالتايوانية. «لا أظن أنني بحاجة إلى هذا الجزء» واقتطعت سالي الأجزاء الممهورة بعبارات «سري للغاية».

لقد أصبح لقاء لي شيئاً ما أشبه بالطقوس الروتينية بالنسبة ليانغ وابنته. ورغم أن يانغ قام بزيارة أمريكا فعلاً، فقد كان لي الأميركي المجنَّس الذي ولد في تايوان هو من يسافر عادة إلى وطنه الأم في خلال فترة الصيف مع عائلته في رحلات مدفوعة النفقات حيث كان يُعامَلْ معاملةً شخصيةً رفيعة المستوى. كان قد كف عن العمل في مجال الأدبيات والكتب وأوراق البحث المتعلقة بالمواد اللاصقة وتحوَّل عنه إلى إلقاء محاضرات حول علم الغراء. وقام من خلال هذه المحاضرات ـ بحسب زعم الحكومة ـ بالإدلاء بمعلومات مفصلة عن المواد السرية لشركة «آڤيري» وبإعطاء نسخ عن منتجات جديدة وأفكار تصنيعية كانت لا تزال في المراحل التجريبية الأولىٰ. وقدم لي مواصفات زعم هو بنفسه أنها كانت غاية في السرية. ومن ثم قام بجني حصيلة جهده التي كانت شركة «فور بيلارز» قد خبأتها بإيداعها ضمن الحساب المصرفي لزوجة أخيه في تايوان أو من خلال الدفع له من طريق شيكات سياحية. ولكن الأمر كان مختلفاً هذه المرة. فقد طلب، وبناء على توصية من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، من يانغ وابنته أن يقوما بزيارته في أميركا. وكان يانغ قد أدرج المرور على كليڤلاند ضمن خط السير الذي رسمه لرحلته إلى لقاء نجم التنس مايكل تشانغ Michael Chang الذي كان يلعب في دورة الولايات المتحدة المفتوحة والمقامة في «فلاشينغ» Flushing في نيويورك. كانت غرفة الفندق مزودة بمكبرات صوت وكاميرات مخفية. وقامت مجموعة من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي

يرأسهم العميل الخاص المكلف «مايكل بارثولوميو» Michael Bartholomew بمراقبة المشهد كاملاً من خلال شاشة تلفزيونية مغلقة الدارة. في عملية دقيقة سابقة، وقبل عشرة شهور، تم تصوير لي على شريط ڤيديو من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي وهو يحاول سرقة خطة مزيفة عن التوسع باتجاه آسيا، الخطة نفسها الموجودة بحوزة يانغ الآن. وعند مواجهته بالأمر، اعترف لي بتلك المحاولة وأصبح نجم الحكومة المحترف وإن لم يكن نجماً متعاوناً كما يجب.

وعلى مدى سنوات سبع، كان لي يتقاضى مبلغاً وقدره خمسة وعشرون ألف دولار سنوياً من قبل شركة فور بيلارز لقاء تسريبه معلومات لمصلحة الشركة عن المواد اللاصقة بما في ذلك، كما زعمت الحكومة، لصاقات بطاريات كانت شركة «آڤيري» قد ابتكرتها لاختبار طاقة بطاريات «دوراسيل»، Duracell وصيغة كيماوية لشريط من النسيج، إضافة إلى وصفات معقدة لمواد لاصقة ونماذج عن منتوجات لشركة «آڤيري» كانت لا تزال قيد التطوير. وفي العام 1989 وحده وهو العام الذي باشر فيه لي عمله في شركة «فور بيلارز»، قام بإرسالات بريدية بلغت أربعة عشر إرسالاً للشركة. وأصبح لي مولعاً بعمله الإضافي ذاك لدرجة أنه بات يستخدم ضمير جمع المتكلم «نحن» في مراسلاته مع يانغ وشركاه وكأن عمله في «آڤيري» لم يكن إلا مجرد فكرة متأخرة.

إن صيغة المواد اللاصقة قد تبدو عادية تماماً بالنسبة للعديد من الذين قد يحملون مفهوماً عن الغراء كمفهوم «إلمر» Elmer's. إنها في الحقيقة صناعة تناحرية تقوم على البحث والتطوير: إنها ميزة نسبية تقيم حواجز عالية تحول دون الدخول إلى شركة ما. هذا وإن مواكبة التغير

التكنولوجي ذي السرعة المضللة ليس أمراً صعباً على منافس صغير فحسب، بل حتى بالنسبة إلى شركة مثل شركة «فور بيلارز» المصنفة أولاً في تايوان في مجال بيع المواد اللاصقة والتي تعتبر قوة كبيرة في الصين كونها تحقق مبيعات تصل إلى 160 مليون دولار سنوياً. ويمكن لمادة واحدة ذاتية الالتصاق أن تشتمل على اثنتي عشرة طبقة من المواد الكيماوية المستقلة، ولكل طبقة من هذه الطبقات وظيفة ومظهر وقدرة مختلفة عن الطبقات الأخرى. ويجب أن تكون كل طبقة ذات قدرة احتمالية دقيقة في ما يتعلق بالسماكة والتغطية. فلا ينبغي أن تكون رطبة جداً ولا جافة جداً وإلا فإنها ستسقط أو أنها لن تصمد طويلاً.

وعليه فإنه لا بد لعمليات التصنيع والإنتاج أن تضبط بدقة وتدار بعناية. وبالنسبة لشركة «آفيري» فإن 1075 من الأعمال التي تقوم بها تتعلق بإنتاج مواد لاصقة حساسة للضغط، وأما المادة المستعملة فتجعل اللصاقات قابلة للنزع ومن دون أن تترك آثاراً لزجة على الأصابع. ومؤسس تلك الشركة هو آر. ستانتون آفيري R. Stanton Avery الذي قام بابتكار أول لصاقة عملية ذاتية الالتصاق. وكان ذلك سنة 1935. لقد أسس صناعة قائمة بحد ذاتها. والآن، وبحجم أعمال تقدر بـ3,2 مليارات دولار، فإن شركة «آفيري» تنتج اللصاقات المستخدمة من قبل «أنترنال ريڤنيو سيرڤس» Internal Revenue Service على الاستمارة الرقم/ 1040/ وكذلك طوابع بريدية يتم لصقها بعد نزع الطبقة الخلفية. وعلى الرغم من أن منتجات هذه الشركة ليست من النوع المعلن فإنها جزء مربح من تجارة الجينز، علب أفلام التصوير، بطاقات الأسعار وزجاجات الشامبو. كما وأن الشركة تعد لاعباً أساسياً في أسواق السيارات والالكترونيات

والتجهيزات الطبية. ولكي تبقى في الطليعة، فإنها تغدق الأموال على نشاطات البحث والتطوير. فقد استثمرت ما بين سنتي 1993 ـ 1996 فقط ما يزيد على 200 مليون دولار في مجال الأبحاث.

قام لي، وهو مواطن أميركي بالتجنس حاصل على درجة الدكتوراه في الهندسة الكيماوية من جامعة تكساس للتكنولوجيا ودرجة الماجستير في علوم البوليمر من جامعة آكرون، بسرقة عشر وصفات من شركة آڤيري وسرّبها إلى شركة فور بيلارز. إنه خبير في طرائق صنع مواد لاصقة حساسة للضغط يمكن لصقها على مختلف السطوح وتحت مختلف الظروف، حتى إنه استخدم مختبرات شركة آڤيري دينيسون لاختبار منتجات شركة فوربيلارز ومقارنتها مع منتجات شركة آڤيري، ثم قدم النصيحة حول الكيفية التي تمكنت من خلالها شركته المعتمدة تحسين بضاعتها بحيث تكون قادرة على المنافسة وبصورة أكثر فاعلية. لقد حقق له هذا دخلاً إضافياً. وكان الاحترام هو الضالة الوحيدة التي كان ينشدها. وقذف به ذلك أيضاً في دوامة من المتاعب حاول أن يخلص نفسه منها حين قرر أن يصبح عميلاً للقانون، أي التعاون مع القانون في محاولة منه لتجنب الملاحقة القضائية أو لتخفيف أي عقوبات محتملة.

لقد أتى يانغ بسذاجة على ذكر عملية تتعلق بمكتب التحقيقات الفيدرالي FBI كان قد سمع بها وذلك لحظة توقفه عن العمل واستعداده للمغادرة. فقبل ثلاثة أشهر تم اعتقال مواطنَيْن تايوانيَيْن كانا يعملان لمصلحة شركة «يوين فونغ بيبر المحدودة» نتيجة لإحدى العمليات التي قام بها المكتب خارج فندق «الفصول الأربعة» Four Seasons في فيلادلفيا. وكان كلا التايوانيين على صلة بالحكومة التايوانية. أمّا التهمة

التي وُجهت إليهما فكانت محاولة شراء طريقة تصنيع عقار «تاكسول» المضاد السرطاني الذي توصلت إليه شركة «بريستول مايرز» وذلك لقاء مبلغ 400 ألف دولار أميركي، صفقة لو نجحوا في إبرامها لكانت تلك المعلومات تساوي البلايين/ المليارات. وليس من المستغرب أن نذكر هنا أن هذه القضية قد استقطبت قدراً كبيراً من التغطية الإعلامية في تايوان.

وكما أوضحت سالي، فإن أمريكا تمتلك قسماً خاصاً يهتم باصطياد جواسيس عالم الشركات ورجال الأعمال. «أنا رجل شديد الحذر» قال يانغ. «فكل ما أحصل عليه أتخلص منه في الحال. لا أحب إجراء المكالمات الهاتفية، ولهذا اتصلت بك [سالي]، ولكنني لم أفعل. عندما تأتي إلى تايبيه فلا بأس من أن أجتمع بك لنتحدث. يمكنك أن تجمع أو تحصل على بعض النماذج الجديدة أو الاتجاهات الجديدة على صعيد الأبحاث. ومهما كانت طبيعة منتوج الغد، علينا أن نسعى إلى تطويره باكراً... لسنا بحاجة لتقليده، يمكننا تعديله».

وجال يانغ بنظره في أرجاء الغرفة للمرة الأخيرة ثم سأل: «ألم ننسَ شيئاً؟». انسلوا خارجاً وأقلّهم لي بسيارته إلى مطار كليڤلاند هوبكنز الدولي. لقد لعب دوره بإتقان، إذ كان نموذجاً للحمامة المغوية التي تستخدم لجر غيرها إلى الشرك؛ إذ كان أنموذجاً للجاسوس الواشي الذي يعمل لحساب الشرطة. ولم ينتبه يانغ أو سالي إلى السيارة التي كانت تقلّهم إلى المطار كما أنهما لم يلحظا عندما وصلا إلى قسم المغادرة، السيارتين اللتين كانتا تقلاّن عميلين فيدراليين وكانتا قد توقفتا لتوهما على مقربة من كونتيننتال إيرلاينز. ألقى لي عليهما تحية الوداع وساعدهما على الخروج من السيارة وقام بإنزال أمتعتهما عند حافة الرصيف لهذه الغاية، ثم انقضّ الخادم المطيع والعميلان عليهما لتنفيذ عملية الاعتقال.